التنمية البشرية في فكر الإمام علي بن أبي طالب(عليه السلام)

أ.م.د. رحيم علي صياح□

كلية التربية الأساسية / جامعة المثنى □

الملخص

لاشك أنه يمكننا القول بلا تردد إن الإمام علي بن أبي طالب(عليه السلام) يعدّ رائد التنمية البشرية الإسلامية وواضع أسسها، وهذا ما يحاول أن يثبته بحثنا هذا، وإن المفكرين والفقهاء الذين أسهموا في بناء الفكر التنموي الإسلامي لابد من أن يكونوا قد تأثروا بشكل أو بآخر بفكر الإمام علي(عليه السلام).

قال أحد الباحثين: " من المقولات المعروفة للإمام علي التي طالما توقفت عندها كما لابد أن يتوقف عندها الكل متأملا بكثير من الإعجاب قوله: "ربوا أولادكم على غير ما دَرَجْتم عليه لأنهم مخلوقون لزمان غير زمانكم"، ولعل أفضل ما سمعته تعليقا على هذه المقولة ما قاله أحمد جبريل السياسي الليبي المعروف ورئيس الوزراء السابق كان يتحدث في ندوة في تونس كنت حاضرا فيها ذكر هذه المقولة في سياق معين وقال: "إن الإمام علي بهذه المقولة يعتبر رائدا للتنمية المستدامة"، وما قاله أحمد جبريل كلام دقيق جدا بشكل مدهش"[1].

أبرزنا في هذا البحث آراء الإمام علي(عليه السلام) في مجال التنمية وتطبيقاته على أرض الواقع خلال فترة حكمه خليفة للمسلمين، وما كتبه لعماله ليكون منهاج عمل لهم في سياسة الأمة، والارتقاء بالإنسان المسلم كما أمر الله تعالى بذلك.

إن الهدف الأسمى الذي سعى إليه أمير المؤمنين علي(عليه السلام) إنّما هو تحقيق العدالة الاجتماعية، وصيانة حقوق الراعي والرعية، وتقوية الأواصر بين السلطة والشعب، حيث يكون الحق سيد الموقف، وحتى لا تجترئ السلطة على إتيان الباطل وتعطيل الحقوق.

كما أراد بناء الفرد المسلم بناء صحيحا، بناء المؤمن القوي مثلما أراد الله ورسوله(وآله صلى الله عليه وآله)، فأراد أمير المؤمنين علي(عليه السلام) أن يكون هذا الإنسان من القوة بحيث لا يدع مجالا لأي حاكم أن يظلم، ولا لأي جبار أن يبطش ويتغطرس، وأن يكون المسلمون ندا قويا للحكام في قول الحق، وتعديل الاعوجاج، وتصحيح المسار، والمحافظة على الدين، وصون كرامة الإنسان.

كما تناولنا في بحثنا هذا تعريف التنمية وتطورها التاريخي، وأسباب إخفاقها في تحقيق العدالة الاجتماعية والنهوض بواقع الإنسان.

ثم تطرقنا بعد ذلك إلى موضوع التنمية في القرآن الكريم حيث لم نجد القرآن الكريم على كثرة تناوله للسلوك الاقتصادي، وإحاطته به، وحثه الدائب على ضرورة أن يكون هذا السلوك رشيدا سواء في مجال الإنفاق أم في مجال الكسب والإنتاج أم في غيرهما من المجالات الاقتصادية، لم نجد في القرآن الكريم استعمالا لمصطلح النمو أو التنمية في معرض الحث والأمر، لكنا وجدنا بدلا من ذلك العديد من المصطلحات التي يدل فيها على الأعمار[٢]. فقد جاء في قوله تعالى: ﴿**هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا**﴾[٣]، قال القرطبي[٤]: "الاستعمار طلب العمارة، والطلب المطلق من الله تعالى على الوجوب".

يعد مصطلح العمارة والتعمير من اصدق المصطلحات تعبيرا عن التنمية؛ إذ يحمل مضمون التنمية الاقتصادية ويزيد عليه، فهو نهوض في مختلف مجالات الحياة الإنسانية[٥].

Human Development Through the Ideas of Imam Ali ibin Abi Talib (PBUH)

Assist Prof. Dr. Rahim Ali Sayyah

College of Basic Education / University of Al-Muthanna

Abstract

We can say without hesitation that Imam Ali is the pioneer and founder of Islamic human development which is what we are trying to prove in such research , thinkers and clerks whom contributed in growing the Islamic human development should have effected by Imam Ali intellect anyway .

“ One of Imam Ali speech that I have totally effected for a long time as well as all should be get much admiration was “ don’t bring your sons up for your traditions because they have been created for another ones “ though the best what I’ve heard in comment of this speech was by Ahmed Jibril (the well-known politician) at a forum in Tunisia where I was attended , he said “ Imam Ali is considered the pioneer of the perpetual human development “ it was recherché speech “ one of researcher said .

In this research we approached to the opinions of Imam Ali at the human development field and its applications in reality during his reign as a Caliph , what he wrote to his cabinet members to be their approach to lead the nation and promote the Muslims as Allah stated .

The supreme aim that Imam Ali proposed was achieving the social justice and maintain the leader and folks rights as well as bolstering the ties between the authorities and folks where the right is the master and enhancing the authority in order not to dare to conduct injustice and break the rights .

Also Imam Ali wanted to properly construct the Muslim individual as good as Allah and his prophet wanted , he wanted the person to be quiet strong in a way that make impossibility to any ruler to oppressing him , also making the Muslims a hard opponent to the rulers in the right affairs , amending the trajectories , maintaining the religion and keeping the human pride .

Also we approached in this research to the definition of the human development and its historian progress , the reasons behind its fizzle to achieve the social justice and uplifting the human being reality .

Then we approached to the human development in the holy Quran where we didn't find it using the term of development in the urgent or commands aspects in spite of its plenty points that it deals with the economic conduct and the continue urging for this conduct to be rational in spending and gaining or any other terms of economic aspects , but we found instead several terms that refer to the construction such as the verse of Quran " He brought you forth from the earth and settle you therein " … the Qurtubi said " Settle is demanding construction and the absolute demand from Allah to be applicable "

The term of construction and structuring is consider one of the more honest in expression of developing , as it solves the argument of economical developing , it is a resurgence in all human life aspects .

المقدمة

إن دراسة الفكر الاقتصادي الإسلامي، ودراسة فكر الإمام علي بن أبي طالب(عليه السلام) في مجال التنمية ليس سردا لأحداث تاريخية، أو إبرازا للآراء شخصية فذة تركت بصمة واضحة في التاريخ، بل هو إلى جانب إبراز هذه الآراء والمعالجات التي وضعها الإمام علي(عليه السلام) لمعالجة الفقر والنهوض بالمجتمع، يكون الهدف منها تبني هذه الأفكار والاستفادة منها في معالجة الواقع الاقتصادي المتردي الذي تعيشه الأمة الإسلامية.

فهذه الأفكار التي كان منبعها القرآن الكريم والسنة النبوية المباركة ما زالت صالحة لبناء مجتمع إسلامي متماسك، كما أنها تصبغ كل العمليات الاقتصادية بطابع الاقتصاد الإسلامي الذي يجب أن يأخذ دوره في الحياة الإسلامية بعد أن جربت الدول الإسلامية مختلف النظريات الاقتصادية الرأسمالية منها والاشتراكية، وفشلت في تحقيق التنمية الشاملة التي ترتقي بالإنسان المسلم.

من هنا تأتي أهمية الموضوع في أن فكر الأمام علي(عليه السلام) يجعل الإنسان هدف التنمية وغايتها، أي إن الإنسان هو صانع التنمية ذلك أن التنمية لا تتوقف على تواجد الثروة والموارد بل تتوقف على مقدرة الإنسان على إيجادها، والمتطلبات غير الاقتصادية تتعامل كلها مع الإنسان تكوينا وتشكيلا، أي إنها بعبارة أخرى تتعامل مع صانع التنمية الإنسان[٦].

عرضت في بحثنا هذا جملة من المواضيع منها: التطور التاريخي لمفهوم التنمية، وتعريف التنمية في اللغة، والتنمية في القرآن الكريم، ثم تطرقت لإسهامات الإمام علي(عليه السلام) في مجال التنمية فأبرزت بالتحليل والمناقشة الفكر التنموي للإمام علي من خلال ما قام به في أثناء حكمه، أو من خلال ما كان يوجه به حكام الولايات والأقاليم بضرورة النهوض بالإنسان، وتغير الواقع المتردي الذي يعيشه للوصول به إلى الحياة الأفضل التي تمكنه من أداء وظائفه التي خلق لأجلها.

أرجو من الله تعالى أن يضيف بحثي هذا ولو إسهامة بسيطة ترفد المجتمع بما يساعده على النهوض بواقعه وتحسين حال البلاد والعباد ومن الله نسأل التوفيق.

تعريف التنمية البشرية

التنمية في اللغة: التنمية من نما: بمعنى الزيادة . قال الخليل[٧]: نما الشيء ينمو نموا ونمى ينمي نماء ، وأنماه الله رفعه، وزاد فيه إنماء... ونما الخضاب إذا زاد حمرة وسوادا، ونميت فلانا في الحسب أي: رفعته فانتمى في حسبه. وتنمى الشيء: ارتفع من مكان إلى مكان[٨].

أما في الاصطلاح فقد عرفت التنمية البشرية بأنها: عبارة عن تحريك علمي مخطط لمجموعة من العمليات الاجتماعية والاقتصادية من خلال عقيدة معينة لتحقيق التغيير المستهدف بغية الانتقال من حال غير مرغوب فيها إلى حالة مرغوب فيها[٩].

الحق أن هناك أكثر من تعريف للتنمية البشرية كما يشير إلى ذلك الدكتور إحسان محمد الحسن[١٠]، فمن تعاريفها: "أنها تعني عملية التوافق الاجتماعي وتنمية طاقات الفرد إلى مستوى معين من المعيشة وأسلوب الحياة".

كما أن هناك تعريفا أشمل وأعم كما أرى، وهو أكثر تعبيرا عن مفهوم التنمية البشرية، والأهداف التي تسعى إلى تحقيقها يشير إلى أنها: عملية تغيير حضاري تتناول آفاقا واسعة من المشروعات التي تهدف إلى خدمة الإنسان، وتوفير الحاجات المتصلة بعمله ونشاطه، ورفع مستواه الثقافي والصحي والفكري والروحي، وهذه التنمية تعمل بصورة عامة على استخدام الطاقات البشرية من أجل رفع مستوى المعيشة ومن اجل خدمة أهداف التنمية[١١].

أما تقارير التنمية البشرية للأمم المتحدة فأكدت أن التنمية البشرية هي: عملية تهدف إلى زيادة الخيارات المتاحة أمام الناس، ومع كون هذه الخيارات غير محددة فإنه يمكن تمييز ثلاثة خيارات مهمة تتمثل في ضرورة أن يحيا الناس حياة طويلة خالية من العلل، وأن يكتسبوا المعرفة ويحصلوا على الموارد اللازمة لتحقيق مستوى حياة كريمة، ثم تحدد هذه الخيارات حتى تستوعب الحريات السياسية والاقتصادية والاجتماعية واحترام حقوق الإنسان[١٢].

تعد قضية التنمية قضية محورية مصيرية تعكس عزم شعب وتصميمه وإرادته وتطلعه لمستقبل أفضل من التقدم والرفاهية، مما يستوجب الالتزام بالعمل الجاد والجهد والعطاء المتواصل في سبيل الوصول بالمجتمع وتقدمه من أجل أن نلحق بركب التقدم الإنساني الحضاري[١٣].

التطور التاريخي لمفهوم التنمية

تبرز أهمية مفهوم التنمية في تعدد أبعاده ومستوياته وتشابكه مع العديد من المفاهيم الأخرى مثل التخطيط والإنتاج والتقدم، وقد برز مفهوم التنمية بصورة أساسية منذ الحرب العالمية الثانية حيث لم يستعمل هذا المفهوم منذ ظهوره في عصر الاقتصادي البريطاني البارز ادم سمث في الربع الأخير من القرن الثامن عشر وحتى الحرب العالمية الثانية إلا على سبيل الاستثناء، فالمصطلحان اللذان استخدما للدلالة على حدوث التطور المشار إليه في المجتمع كانا (التقدم المادي أو التقدم الاقتصادي)، وعندما ثارت مسألة تطوير بعض اقتصاديات أوربا الشرقية في القرن التاسع عشر كانت المصطلحات المستخدمة هي التحديث أو التصنيع(١٤).

لقد اقتصر مفهوم التنمية منذ ظهوره نهاية الحرب العالمية الثانية، على الكمية التي يحصل عليها الفرد من سلع وخدمات مادية، إذ كان الاهتمام منصبا فقط على النمو الاقتصادي وتحسن ميزان المدفوعات وتنمية الصادرات باعتبارها المقياس الحقيقي للتقدم والتنمية(١٥).

في مطلع السبعينيات ظهر اتجاه جديد بين الاقتصاديين يسلط الضوء على مفهوم جديد للتنمية هو التنمية الاجتماعية آخذا بعين الاعتبار انعكاس السياسات التنموية على بنى المجتمع وأنشطته الاقتصادية، وقد اعتمد أصحاب هذا الاتجاه الجديد على معيار آخر يسمى بمعيار أو نظرية (إشباع الحاجات الأساسية) واعتبروه أفضل من المعيار السابق (متوسط دخل الفرد) لأنه وببساطة يسلط الضوء على اكبر شريحة من أي مجتمع من حيث الاهتمام بحاجاته المادية والمعنوية(١٦).

في العام ١٩٩٠م تبنى برنامج الأمم المتحدة للإنماء مفهوما للتنمية البشرية بمقتضاه أصبح الإنسان هو صانع التنمية وهدفها، وذلك باعتبار البشر هم الثروة الحقيقية للأمم، وأن التنمية البشرية هي عملية توسيع خيارات البشر، وأن قدرات أي أمة تكمن فيما تمتلكه من طاقات بشرية مؤهلة ومدربة وقادرة على التكيف والتعامل مع أي جديد بكفاءة وفعالية(١٧).

اعتمد مفهوم التنمية البشرية على ثلاث عناصر تعلقت بدخل الفرد، وعمره المتوقع، ومستوى تعليمه، وأضحى تصنيف الدول يتم حسب هذا المعيار. وعلى الرغم من افتقاده لعناصر عديدة لحجم البطالة أو العمالة والتضخم ونمط العلاقات الاجتماعية وغيرها، إلا أنه لقي قبولا واسعا عند العارفين به، إلا أن تدهور البيئة وأهلاك مواردها من جهة، وتطور العديد

من المفاهيم جعل الاقتصاديين يطرحون مفهوما أعمق من ذلك وهو مفهوم التنمية الإنسانية الذي تضمن استدامة التنمية من حيث البيئة، كما شمل الاهتمام بالحريات والمرأة ودرجة الاتصالات وغيرها(١٨).

ثم ظهر مفهوم آخر للتنمية تمثل بالتنمية المستدامة وكان أول من أشار إلى هذا المفهوم بشكل رسمي هو تقرير مستقبلنا المشترك الصادر عن اللجنة العالمية للتنمية والبيئة في عام ١٩٨٧م. وأعلن عن تبني هذا المفهوم للتنمية في قمة الأرض المنعقدة في ريو دي جانيرو في العام ١٩٩٢م، حيث ورد في إعلان ريو بأن البشر هم صميم ومركز التنمية المستدامة وأن من حقهم أن يحيوا حياة صحية ومنتجة في وئام مع الطبيعة(١٩).

التنمية في القرآن الكريم

لم نجد في القرآن الكريم على كثرة تناوله للسلوك الاقتصادي وإحاطته به وحثه الدائب على ضرورة أن يكون هذا السلوك رشيدا إن في مجال الإنفاق أو في مجال الكسب والإنتاج، أو في غيرهما من المجالات الاقتصادية، لم نجد في القرآن الكريم استعمالا لمصطلح النمو أو التنمية، في معرض الحث والأمر، ولكننا وجدنا بدلا من ذلك العديد من المصطلحات التي فيها الأعمار والابتغاء من فضل الله والسعي في الأرض وإصلاح الأرض وعدم إفسادها(٢٠).

وقد علل أحد الباحثين ذلك بقوله: "وليس معنى ذلك زهد الإسلام في الرخاء الاقتصادي ذلك المعنى الذي تمحورت حوله عملية التنمية في المصطلح الاقتصادي المعاصر، وإنما هو حرص الإسلام وتأكيده على أن المطلوب والمستهدف هو شيء أكبر من ذلك وأجل منه، إنه طيب الحياة بكل ما تحمله هذه الكلمة من معنى ومدلول يتجاوز إلى حد بعيد الحدود الاقتصادية، محتويا على كافة جنبات الحياة الاجتماعية والسياسية والثقافية، إضافة إلى الاقتصادية، كما أنه في الوقت نفسه مشغول كل الشغل بالإنسان نفسه بكل مقوماته الذاتية والخارجية، الروحية والفكرية والوجدانية والمالية، معنى ذلك بوضوح أن موضوع التنمية في المفهوم الإسلامي هو الإنسان"(٢١).

ورد في القرآن الكريم الكثير من المصطلحات التي تدل على التنمية، ولعل اقرب هذه المصطلحات كلمة العمران بمشتقاتها للدلالة على التنمية والإصلاح، واستغلال منافع الأرض كما أراد المشرع العظيم، فقد ورد في سورة هود قوله تعالى: قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ ۞ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ

صَٰلِحًا قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ وَٱسۡتَعۡمَرَكُمۡ فِيهَا فَٱسۡتَغۡفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِۚ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٞ مُّجِيبٞ ٦١ ﴾ [٢٢]، فالعمارة هنا تقابل مفهوم التنمية الذي استحدث في العصر الحديث.

ذكر الطبري[٢٣] في تفسير الآية الواردة ما نصه: "جعلكم عمارا فيها، فكان المعنى فيه أسكنكم فيها أيام حياتكم". وقال الطبرسي[٢٤]: "أي جعلكم عمار الأرض بان مكنكم من عمارتها". أما القرطبي فقال[٢٥]: "الاستعمار: طلب العمارة، والطلب المطلق من الله تعالى على الوجوب". وفي موضع آخر قال: "أمركم بعمارة ما تحتاجون إليه فيها من بناء مساكن وغرس أشجار، وقيل المعنى: ألهمكم عمارتها من الحرث والغرس وحفر الأنهار".

لذلك حرص القرآن الكريم على الاهتمام بموضوع التنمية بمجالاتها المختلفة لتوفير المناخ المناسب للإنسان في العيش الرغيد وتأدية واجباته[٢٦] لما يتمتع به موضوع التنمية من أهميه شغلت بال الناس أفرادا وجماعات، لذا فلا غرو إن ترد في القرآن الكريم الكثير من الآيات المباركات التي تحث الفرد والجماعة على إعمار الأرض واستغلالها الاستغلال الأمثل، الذي يمكن الإنسان من الاستفادة من خيراتها، في تحقيق سعادة الدارين، قال تعالى: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَقَدۡ مَكَّنَّٰكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَجَعَلۡنَا لَكُمۡ فِيهَا مَعَٰيِشَۗ قَلِيلٗا مَّا تَشۡكُرُونَ ١٠ ﴾ [٢٧].

وقال تعالى: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ ذَلُولٗا فَٱمۡشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزۡقِهِۦۖ وَإِلَيۡهِ ٱلنُّشُورُ ١٥ ﴾[٢٨] ، كما قال جل شأنه: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ١٧٢ ﴾[٢٩]. وقد علق أحد الباحثين[٣٠] على هذه الآية المباركة بقوله: "فجاءت الآيات بالأمر المطلق على وجوب الأكل، والمقصود من الأكل هو الانتفاع من جميع الوجوه أي إن (الأكل) في الآيات أعم وأوسع من المفهوم المعتاد، فهو أمر بالأكل بمعنى مطلق الانتفاع، ولا يتحقق ذلك إلا عن طريق القيام بعمليات الإنتاج المختلفة لان السلعة الاقتصادية يجب أن تمر بمراحل مختلفة حتى تصبح صالحة للاستهلاك المباشر.

فلا جرم أن تكون التنمية في حقيقتها عملية حضارية لكونها تشمل مختلف أوجه النشاط في المجتمع، بما يحقق رفاهية الإنسان وكرامته، وهي أيضا بناء للإنسان وتحرير له وتطوير لكفاءاته وإطلاق لقدراته، كما أنها اكتشاف لموارد المجتمع وتنميتها وحسن تسخيرها بحيث تعود بالنفع على المجتمعات الإنسانية دون المساس بسيادتها وأمنها(٣١).

المنظور الإسلامي للتنمية

التعمير أو(التنمية) جزء لا يتجزأ من الإسلام الذي قضى باستخلاف الله تعالى الإنسان في الأرض، ويقتضي واجب الخلافة تحقيق التقدم للأفراد والمجتمع بالسيطرة على الموارد المتاحة في الكون التي سخرها الله سبحانه وتعالى لخدمته فقد قال سبحانه: **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ قَالُوٓاْ أُوذِينَا مِن قَبۡلِ أَن تَأۡتِيَنَا وَمِنۢ بَعۡدِ مَا جِئۡتَنَاۚ قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُهۡلِكَ عَدُوَّكُمۡ وَيَسۡتَخۡلِفَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرَ كَيۡفَ تَعۡمَلُونَ ١٢٩ ﴾ (٣٢)،

والخلافة: هي تنفيذ أوامر الله عز وجل في شتى المجالات وعمارة الأرض من بين المجالات المأمور بها الإنسان، إن التنمية فريضة إسلامية افترضها الإسلام على الجماعة الإسلامية، وعلى الفرد المسلم وعلى الدولة المسلمة، ولا يتحقق الإسلام عمليا إلا إذا توافرت في المجتمع الإسلامي(٣٣).

إن مفهوم التنمية الاقتصادية الإسلامي لا يختلف كثيرا عن مفهوم التنمية الاقتصادية في الفكر المعاصر، إلا في الهدف من هذه العملية، وما إذا كان مجرد تحقيق إشباع الحاجات المادية، أم إن ذلك مرحلة لهدف أسمى وهو العبودية لله تعالى، كما في قوله تعالى: **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ٥٦ ﴾(٣٤)، ذلك هو الفرق بين هدف التنمية في الفكر الاقتصادي المعاصر وهدفها الإسلامي(٣٥).

لذا فإن التنمية يجب إن تركز على تطوير الإنسان صانع التنمية، لا تطوير الأشياء وإنها عملية اجتماعية لا يمكن الفصل بين بعديها الاقتصادي والاجتماعي باعتبارهما وجهي عملة واحدة، لا يمكن فصلهما،بل يكمل كل منهما الأخر، وأهداف احدهما تصاحبه تنمية البعد الآخر، كما أن كل بعد مظهر من مظاهر تحقيق أهداف البعد الآخر(٣٦).

على هذا فإن المفهوم الإسلامي للتنمية يتميز عن المفهوم الوضعي لها الذي هو موضوعها الأموال، والأشياء ووسيلتها في المقام الأول هي أيضا الأموال والأشياء، ومن ثَمَّ فهي تنمية ما بيدي الإنسان وليست تنمية الإنسان نفسه، وقد جر هذا المفهوم المادي للتنمية على المجتمعات المعاصرة الكثير من المتاعب والأوزار، مما جعل المنصفين من فلاسفة الغرب وعلمائه يجأرون بالتحذير من مغبة الانصياع وراء عقيدة توارث النمو، حتى أن الكثير من علماء الاقتصاد أنفسهم أخذوا في مؤلفاتهم الحديثة يصرون على ضرورة إحداث تغيير جذري في مفهوم التنمية وأبعادها، وأهدافها ووسائلها، وبعضهم أخذ يقترب رويدا رويدًا من المفهوم الإسلامي مؤكدا على أن المستهدف من عملية النمو لا ينبغي أن يكون الكثرة والتكاثر المادي، بل حياة أفضل بما تنطوي عليه من أبعاد غير اقتصادية، لا تقل أهمية عن البعد الاقتصادي(٣٧).

نظرة الإمام علي(عليه السلام) للتنمية

للإمام علي(عليه السلام) رؤية فلسفية خاصة في العمارة (التنمية) لا نبالغ إذا قلنا أنه سبق بها المفكرين، ويتضح لنا ذلك جليا من خلال كتابه إلى مالك الأشتر الذي تضمن الرؤية الفلسفية لأمير المؤمنين علي(عليه السلام) للعمران بقوله: "جباية خراجها وجهاد عدوها واستصلاح أهلها وعمارة بلادها"(٣٨).

فأمير المؤمنين علي(عليه السلام) لم يذهب مباشرة لعمارة البلاد، أو استصلاح العباد، وإنما هناك مقدمات لهذه العمارة لابد من تحقيقها أولا لتتم عملية التنمية الشاملة للعباد والبلاد، ولأن الهدف من التنمية هو الإنسان فلابد أن تكون التنمية في مختلف الجوانب وفي وقت واحد ووتيرة واحدة وبنفس الأهمية كي تؤتي أكلها وتكون نتائجها مثمرة، ومن هذه المقدمات:

الخراج (التنمية الاقتصادية)

يعد الخراج موردا ماليا مهما لميزانية الدولة، تمكنها من تحقيق ما تصبو إليه من إصلاح وعمارة وعدالة اجتماعية.

لقد احتلت مكانة الطبقة التي تفلح الأرض وتستزرعها مكانا بارزا وهاما في الفكر الاجتماعي لعلي بن أبي طالب(عليه السلام)، بل إن حديثه عنها ووصاياه بشأنها تجعلنا نقول: إن فكره الاجتماعي قد جعل مكان هذه الطبقة ابرز مكان، وأهمه بالقياس إلى باقي الطبقات[٣٩].

ولا ريب أن تحتل هذه الطبقة الاجتماعية مكانتها الرفيعة تلك بين طبقات المجتمع، نظرا لما تقدمه من فائدة ومنفعة لعموم شرائح المجتمع الأخرى، بل إن الإمام علي(عليه السلام) ذهب أبعد من ذلك بأن ربط صلاح كل طبقات المجتمع بصلاح هذه الطبقة، فقد كتب أمير المؤمنين علي(عليه السلام) لعامله على مصر: "وتفقد أمر الخراج بما يصلح أهله، فإن في إصلاحه وإصلاحهم صلاحا لمن سواهم، ولا صلاح لمن سواهم إلا بهم ،لأن الناس كلهم عيال على الخراج وأهله"[٤٠].

وبعد أن يعين لنا الإمام علي(عليه السلام) أهمية هذه الطبقة، وأهمية الدور الذي تؤديه للمجتمع، يضع لنا الأسس التنموية الصحيحة للنهوض بهذا القطاع وديمومته، واستمراره برفد المجتمع، فيوصي عامله على مصر بقوله: "وليكن نظرك في عمارة الأرض أبلغ من نظرك في استجلاب الخراج، لان ذلك لا يدرك إلا بالعمارة، ومن طلب الخراج بغير عمارة أخرب البلاد وأهلك العباد"[٤١].

أشار أحد الباحثين[٤٢] إلى أن مصطلح العمارة والتعمير من أصدق المصطلحات تعبيرا عن التنمية، إذ يحمل مضمون التنمية الاقتصادية وقد يزيد عنه، فهو نهوض في مختلف مجالات الحياة الإنسانية، وأن تناول بصيغة أولية جوانب التنمية الاقتصادية بمعناها المتعارف عليه، والذي لا يخرج عن تعظيم عمليات الإنتاج المختلفة.

كما أوصى الإمام علي(عليه السلام) عماله أن يأخذوا حالة الزرع بعين الاعتبار أيضا تحقيقا لعمارة البلاد وتطوير هذا القطاع الحيوي بعدم إثقال كاهل الفلاح بالفروض المالية المترتبة عليه نتيجة استغلال الأرض، فقد ذكر أنه وضع على جريب البر الرقيق فروضا تختلف عما وضعه على البر الغليظ، أو البر المتوسط، وميز في الفروض بين النخل والشجر المجتمع والنخل المنفرد[٤٣].

ففي هذا الصدد أورد لنا البلاذري[٤٤] نقلا عن أبي زيد الأنصاري ما نصه: "قال بعثني علي بن أبي طالب على ما سقي الفرات، فذكر رساتيق[٤٥] وقرى، فسمى نهر الملك، وكوثى،

وبهرسير[٤٦] ، والرومقان[٤٧] ، ونهر جوبر، ونهر درقيط[٤٨] ، والبِهْقُباذات[٤٩]، وأمرني أن أضع على كل جريب[٥٠] زرع غليظ من البر درهما ونصفا وصاعا[٥١] من طعام، وعلى كل جريب وسط درهما، وعلى كل جريب من البر رقيق الزرع ثلثي درهم، وعلى الشعير نصف ذلك، وأمرني أن أضع على البساتين التي تجمع النخل والشجر على كل جريب عشرة دراهم، وعلى جريب الكرم إذا أتت عليه ثلاث سنين، ودخل في الرابعة، وأطعم عشرة دراهم، وأن أُلغِيَ كل نخلٍ شاذ عن القرى يأكله مَنْ مَرَّ به، وأن لا أضع على الخضروات شيئًا، المقاثي، والحبوب، والسماسم، والقطن".

وهذه دعوة من الإمام علي(عليه السلام) الى استثمار القطاع الزراعي بتخفيف الأعباء عن كاهل المزارع وتوسيع الموارد التي يملكها المجتمع، والعمل على زيادة الإنتاج الذي يعود بالخير والمنفعة على الأفراد، وليس إلى تكديسها في خزائن الدولة وجيوب الحكام[٥٢].

وبعد أن بين الخطوط العامة لعمارة الأرض وتنمية القطاع الزراعي، يدعو عامله بل يوصيه كيف يتعامل مع هذه الشريحة، كي تتم عملية التنمية بكل يسر وتؤتي ثمارها بقوله: "فإن شكوا ثقلا أو علة، أو انقطاع شرب، أو بالة، أو إحالة ارض اغتمرها غرق، أو أجحف بها عطش خففت عنهم بما ترجو أن يصلح به أمرهم، ولا يثقلن عليك شيء خففت به المؤونة عنهم"[٥٣].

فهذه الدعوة لواليه بسعة الصدر، وبعد النظر في الاستجابة لمطالب الفلاح، وإن كثرت أو تعددت لها فوائدها ومزاياها في خلق حالة من المودة بين الراعي والرعية، ثم أنها لها فوائدها المباشرة سواء لهذا المسؤول أو للمجتمع بشكل عام، وهذا ما يذكره أمير المؤمنين علي(عليه السلام) بقوله: " فإنه ذخر يعودون به عليك"، أي إن ما تقدمه لهم من عون ومساعدة إنما هو في واقع ادخار لمستقبل الأيام سيعودون به عليك في أوقات الأزمات حيث تكون بأمس الحاجة لهم، فلا ينكرون فضلك ولا ينسون موقفك تجاههم في أوقات محنهم التي وقفت فيها إلى جانبهم .

كما أنه في الوقت نفسه استثمار بشري راقٍ، فهؤلاء سوف ينمي عندهم الحس الوطني كما ينمي عندهم الشعور بالمواطنة الصالحة ويشعرون أن هذه الدولة دولتهم لا دولة الحكام والأمراء فيكون جل اهتمامهم الوطن، وهذا هو الهدف من التنمية أن تخلق شعورا متبادلا بين الراعي والرعية يتجسد فيه حب الوطن والارتقاء به إلى المراتب اللائقة.

وعلى هذا يبدأ الإمام علي(عليه السلام) يزين لواليه الوقوف إلى جانب الفلاح وقت الأزمة والشدة بما سيجنيه هذا الوالي والمجتمع من ذلك العمل والموقف بقوله: "فإنه ذخر يعودون به عليك في عمارة بلادك، وتزيين ولايتك مع استجلابك حسن ثنائهم، وتبجحك باستفاضة العدل فيهم معتمدا فضل قوتهم بما ذخرت عندهم من إجمامك لهم والثقة منهم بما عودتهم من عدلك عليهم ورفقك بهم، فربما حدث من الأمور ما إذا عولت فيه عليهم من بعد احتملوه طيبة أنفسهم به فإن العمران محتمل ما حملته"(٥٤).

ثم يبن لنا الإمام علي(عليه السلام) أسباب فشل التنمية وخراب البنية التحتية للقطاع الزراعي، وكيف تتراكم أسباب الخراب بقوله: " وإنما يؤتى خراب الأرض من إعواز أهلها، وإنما إعواز أهلها لإشراف أنفس الولاة على الجمع، وسوء ظنهم بالبقاء، وقلة انتفاعهم بالعبر"(٥٥).

فالسبب الأساس في عرقلة التنمية هي النظرة القاصرة من الولاة الذين يكون اكبر همهم الجمع، فيقيدون الإنفاق ويهملون الاستثمار، وينشغلون بالجمع فقط لإرضاء المسؤول الأعلى، أو لأخذ ما يمكن أخذه من هذه الأموال لإدراكهم بأنهم سوف يعزلون ويفقدون هذه المناصب، وهذا يحدث عندما يكون تنصيب الولاة وعزلهم ليس على أساس الكفاءة والنزاهة وإنما على أساس المحاباة والمولاة، فيأتي من ليس أهلا لقيادة البلاد وسياسة العباد، فيكون تنصيبه سهلا يسيرا وعزله أسهل؛ لذ لا يكون همه إلا الجمع والاستئثار بمال المسلمين.

أما إذا تطلعت الدولة إلى جمع المال بتحميل القطاع الزراعي ما يستنزف كل إمكاناته فلن يبقى بأيدي أهله ما يمكنهم من بناء استثمارات جديدة به، فتتدهور قدراته الإنتاجية ويحدث به الخراب، أي التخلف الاقتصادي وما يعرف اليوم بضعف إنتاجية هذا القطاع، وستحدث بالمجتمع ملمات، ولن يجد عندها في القطاع الزراعي كبير غناء، ولن يتمكن المجتمع عندها من التغلب على ما حصل به(٥٦).

لذا يؤكد الإمام علي(عليه السلام) على أهمية العناية بهذه الطبقة وتدريب الولاة على التفكير بمصلحة الأمة، وإيثار المنفعة العامة، وعدم التبرم من القيام بما يوجب حق الرعية، فيوصي عامله بقوله: "ولا يثقلن عليك شيء خففت به المؤونة عنهم فإنه ذخر يعودون به عليك في عمارة بلادك وتزيين ولايتك"(٥٧).

فهنا يأمر الإمام علي(عليه السلام) عامله على مصر بمراعاة الطاقة الفردية والقومية عند فرض الخراج وتخفيف المؤن قدر الإمكان على أهل الأراضي الخراجية، ليبقى في أيديهم أموال أو مدخرات يمكن تحويلها إلى مجالات الاستثمار المتنوعة، والتي سيكون لها أثرها في عمارة البلاد، وتزيين الولاية، ومن ثم تحقيق التنمية الاقتصادية على كافة الأصعدة[٥٨].

جهاد العدو(التنمية الأمنية)

أكد احد الباحثين[٥٩] أن من مهام الدولة الإسلامية في نظر هذا الخليفة الراشد جهاد عدوها، وهذا يكون بإعداد الجيش بكافة فروعه، وتوفير العدة والعتاد والتدريب لأفراده من اجل حفظ أرض الإسلام وأهله من الأعداء الخارجين.

لا شك أن للأمن أثرا رئيسا في استقرار أي بلد، والاستقرار يعد من الأمور المهمة لجلب الاستثمارات فكما يقال إن رأس المال جبان.

فاستقرار البلاد وانتشار الأمن والنظام يخلق شعورا لدى الفرد بالاطمئنان والارتياح النفسي بأن حياته وملكيته مصانة لا يمكن التعدي عليها.

وجهاد العدو الذي عبر عنه الإمام علي(عليه السلام) يعني فيما يعنيه الحفاظ على حدود الدولة وحمايتها من الاعتداءات الخارجية، أي بمعنى الحفاظ على سيادة الدولة وحمايته استقلالها، وعدم فتح المجال للقوى الخارجية بالسيطرة على مقدرات الدولة الاقتصادية التي هي الأساس في حدوث عملية العمران والتنمية.

لذا نرى الإمام علي(عليه السلام) يضع جهاد العدو في المرتبة الثانية من حيث الأهمية في تحقيق مستلزمات التنمية الشاملة.

يعلق احد الباحثين على ذلك بقوله: " يعطي الإمام(عليه السلام) أهمية كبرى للأمن والنظام، فهما قوام الحكم وأمل الرعية، فإذا وُجدا أمكن أن يتحقق كل خير، وإن فُقدا فُقد كل خير، وهما ضروريان لتحقيق العمارة والتنمية، يقول الإمام: " ولا يكونَنَّ المحسن والمسيء عندك بمنزلة سواء، فإن في ذلك تزهيدا لأهل الإحسان في الإحسان، وتدريبا لأهل الإساءة على الإساءة، وألزم كلا منهم ما ألزم نفسه"[٦٠].

فيما أكد باحث آخر[٦١] أن موقف الإمام علي(عليه السلام) من ضرورة الاهتمام بالقوة العسكرية يتجلى بقوله: "هذا ما أمر به عبد الله أمير المؤمنين جباية خراجها وجهاد عدوها"، نلمس من

هذا النص أن ازدهار البلاد وعمارتها يعتمد على جهاد الأعداء، إذ إن العمارة معطوفة على الجهاد لأنه لا يمكن لدولة أن تتمتع بالرفاه الاقتصادي وهي عرضة لغارات أعدائها أو مستسلمة لهم فبين الإمام في هذا المناخ الملائم للتنمية وهو تحقيق الاستقرار برد الاعتداءات الخارجية، وأن حالة عدم الاستقرار تؤدي إلى عدم تشجيع الاستثمار ومن ثم إعاقة النمو الاقتصادي، وما يترتب عليه أن أصحاب رؤوس الأموال يمتنعون ويخشون من استثمار أموالهم، لذلك كلما كان البلد أكثر استقرارا وأمانا في الوقت الحاضر والمستقبل كان تكوين رأس المال أكبر"[٦٢].

كتب أمير المؤمنين(ع): "فالجنود بإذن الله حصون الرعية، وزين الولاة، وعز الدين، وسبل الأمن، وليس تقوم الرعية إلا بهم. ثم لا قوام للجنود إلا بما يخرج الله لهم من الخراج الذي يقوون به في جهاد عدوهم، ويعتمدون عليه فيما أصلحهم ويكون من وراء حاجاتهم"[٦٣].

وجباية الخراج كما نعلم هي تحصيل لأهم موارد الدولة الإسلامية، بل إن جباية الخراج هي عماد بيت مال المسلمين الذين يوزع في أعطياتهم، ومنهم الجند القائمون على حماية البلاد، وجهاد العدو، إذن فهناك حلقة مترابطة بين جباية الخراج، وجهاد العدو، وعمارة البلاد، لأنها توسع وتزيد موارد بيت المال، وتزيد في عطاء الجند، وتمكن من امتلاك وسائل القوة للدفاع عن الإسلام وأهله.

إذن هناك ارتباط وثيق بين وسائل التنمية فيما بينها من جهة، وبينها وبين التنمية نفسها من جهة أخرى، فالإمام علي(عليه السلام) قد حدد أولا وسائل التنمية: جباية الخراج، وجهاد العدو، وإصلاح الناس، إلى الهدف الأسمى وهو التنمية الشاملة التي تشمل كل جوانب الحياة.

إن الاهتمام بجباية الخراج وجهاد العدو، ليس مقدمات للتنمية البشرية التي كان ينشدها الإمام علي(عليه السلام) فقط، بل هما جزء أصيل من التنمية، فكان لابد من تنمية القطاع الزراعي، والقطاع الأمني كي يصل الإمام(عليه السلام) إلى التنمية البشرية والارتقاء بالفرد المسلم إلى المنزلة التي أرادها الله تعالى، فلا أحد ينكر قيمة التنمية الاقتصادية وأهميتها لحدوث التنمية البشرية، أي أن تُسخر التنمية الاقتصادية لإحداث التنمية البشرية، وأن لا تكون التنمية الاقتصادية هي الهدف بحد ذاتها، وهذا هو السر في فشل التنمية الاقتصادية وعجزها في الارتقاء بالإنسان لأنها وضعت المعيار المادي فقط لقياس التقدم البشري لذلك بدأ البحث عن بديل فظهر لنا ما يعرف بالتنمية البشرية، والتنمية الإنسانية، وأخيرا التنمية المستدامة.

التنمية البشرية

تطرق أمير المؤمنين علي(عليه السلام) في كتابه إلى مالك الأشتر إلى ضرورة إصلاح أهل مصر، والإصلاح هنا إنما هو النهوض بكافة الجوانب، وليس إصلاح المفسد والمفاسد من الأمور فقط، بمعنى آخر: هو الارتقاء بإنسانية الإنسان وتوفير الظروف الملائمة مما يجعله مؤهلا لأداء ما افترض الله عليه حين استخلفه في الأرض.

والحق أن هناك رابطا يكاد لا ينفصم بين التنمية البشرية و والتنمية الاقتصادية، فكل تنمية اقتصادية تهمل الإنسان تعد فاشلة، ولا يكتب لها النجاح، وقد اثبت الواقع أن الكثير من الدول قد حققت نموا اقتصاديا كبيرا لكنها لم تستطع أن تقضي على الفقر والحرمان، لأنها وضعت نصب عينها تحقيق النمو الاقتصادي دون تحقيق تنمية بشرية، فازداد الأثرياء ثراء والفقراء فقرا.

كانت فلسفة أمير المؤمنين علي(عليه السلام) تنصب في عمومها وخصوصها حول الإنسان، وتسعى في أول ما تسعى إليه حفظ كرامة الإنسان وصيانة وجهه، عن طريق التوزيع العادل للموارد، وكذلك تقديس العمل وتحبيبه للفرد المسلم، والحث على مزاولته لما فيه من حفظ كرامة الإنسان وديمومة عطائه ونفعه للفرد والمجتمع.

كما سعى أمير المؤمنين علي(عليه السلام) إلى إقامة دولة يكون الكل فيها سواسية، لا سلطان جائر، ولا مواطن مظلوم، ولا صاحب سطوة حائف، ولا صاحب حق خائف، لذا كان يوجه عماله على ضرورة احترام الإنسان وعدم إخافته وإرهابه بمظاهر السلطة وهيبة السلطان، وهذه أول خطوات التنمية البشرية وأهمها، وهي أن تخلق إنسانا قويا غير متعتع، يثق بالدولة ومؤسساتها، وتكون الدولة عند ثقته فلا تخذله ولا تسلمه لظالميه.

في جانب التنمية البشرية هناك الكثير من مواطن الخلل التي حدثت في المجتمع قبل وصول أمير المؤمنين(عليه السلام) إلى سدة الحكم، أشار إليها ووجه عماله على معالجتها.

وأيضا يمكن أن نقول هناك الكثير من الأمور التي تحقق التنمية البشرية كما يراها أمير المؤمنين علي(عليه السلام)، وعمل على تحقيقها، فأوصى عماله بها وشدد عليهم بذلك، ومنها:

١- الحقوق السياسية

لقد تضمن عهد أمير المؤمنين علي(عليه السلام) لمالك الأشتر الكثير من هذه الصور الرائعة التي سبق بها غيره، وبالتالي سبقت أمتنا الإسلامية غيرها من الأمم في مجال حقوق الإنسان وتحقيق التنمية البشرية كما أرادها المشرع العظيم.

ومما أوصى به أمير المؤمنين علي(عليه السلام) عامله على مصر قوله: "واجعل لذوي الحاجات منك قسما تفرغ لهم فيه شخصك، وتجلس لهم مجلسا عاما تتواضع فيه لله الذي خلقك، وتقعد عنهم جندك وأعوانك من أحراسك وشرطك، حتى يكلمك متكلمهم غير متعتع فإني سمعت رسول الله عليه السلام يقول في غير موطن: لا تقدس أمة لا يؤخذ للضعيف فيها حقه من القوي غير متعتع. ثم احتمل الخرق منهم والعي، ونح عنك الضيق والأنف يبسط الله عليك بذلك أكناف رحمته، ويوجب لك ثواب طاعته، وأعط ما أعطيت هنيئا، وامنع في إجمال وإعذار "(٦٤).

فالإمام علي(عليه السلام) حريص كل الحرص على توفير المناخ السليم الذي يضمن الأمن والأمان للضعيف حتى يصدع بحقه، ويقول كلمته بلا خوف من سلطان جائر، كما أن ذلك يكسر هيبة السلطان في نفسه، ويزيل الرهبة لدى العامة، فلا يخاف أحد من أن يقول الحق بوجه سلطان جائر، وهذه الحقيقة هي التي كان يرمي لها أمير المؤمنين علي(عليه السلام)، إذ يخاطب جماهير المسلمين بقوله: "فلا تكلموني بما تكلم به الجبابرة، ولا تتحفظوا مني بما يتحفظ به عند أهل البادرة، ولا تخالطوني بالمصانعة، ولا تظنوا بي استثقالا في حق قيل لي ولا التماس إعظام لنفسي، فإنه من استثقل الحق أن يقال له، أو العدل أن يعرض عليه كان العمل بهما أثقل عليه، فلا تكفوا عن مقالة بحق أو مشورة بعدل، فإني لست في نفسي بفوق أن أخطئ، ولا آمن ذلك من فعلي" (٦٥).

والملاحظ من هذين النصين أن أمير المؤمنين علي(عليه السلام) أراد بناء الفرد المسلم بناء صحيحا، بناء المؤمن القوي كما أراده الله ورسوله(ص) فأراد الإمام(عليه السلام) أن يكون هذا الإنسان من القوة بحيث لا يدع مجالا لأي حاكم أن يظلم، ولا لأي جبار أن يبطش ويتغطرس، وأن يكون المسلمون ندا قويا للحكام في قول الحق وتعديل الاعوجاج وتصحيح المسار، والمحافظة على الدين وصون كرامة الإنسان .

وهذا مما لا ريب فيه مجال سياسي متطور جدا إذا ما قارناه بعالم اليوم، نجد أن أمير المؤمنين علي(عليه السلام) قد سبق غيره بكثير في إقرار الحقوق السياسية للأمة والأفراد، وضمن لهم حق التعبير وحرية الرأي، وقد ورد أن الإمام علي(عليه السلام) خطب بالكوفة، فقال رجل من جانب المسجد: لا حكم إلا لله،، فقام آخر فقال مثل ذلك، ثم توالى عدة رجال يحكمون، فقال علي" :الله أكبر كلمة حق يلتمس بها باطل، أما أن لكم عندنا ثلاثا ما صحبتمونا: لا نمنعكم من مساجد الله أن تذكروا فيها اسمه، ولا نمنعكم من الفيء ما دامت أيديكم مع أيدينا، ولا نقاتلكم حتى تبدؤونا"(٦٦).

نقول إن هؤلاء المعارضين لو كانوا في غير زمان علي(عليه السلام) لقتلوا أو صلبوا، أو نفوا من الأرض، بل لسلبت أموالهم، وسبيت نسائهم، ولكنه علي(عليه السلام)،همه الأول الإنسان موافقا كان أو معارضا، هدفه من كل السياسات التي اتبعها أن يخلق المناخ الذي يوفر للإنسان البيئة الصالحة ليكون إنسانا كما أراد الله من خلقه بهذا الوصف والمعنى.

وهذا المناخ السياسي والاجتماعي الذي سعى أمير المؤمنين(عليه السلام) لإيجاده، هو جزء أساس في خلق عملية التنمية البشرية التي سعى إلى تحقيقها.

كما تضمن العهد إلى مالك الأشتر قول الإمام علي(عليه السلام): "وأعظم ما افترض سبحانه من تلك الحقوق حق الوالي على الرعية، وحق الرعية على الوالي فريضة فرضها الله سبحانه لكل على كل، فجعلها نظاما لألفتهم وعزا لدينهم، فليست تصلح الرعية إلا بصلاح الولاة، ولا تصلح الولاة إلا باستقامة الرعية، فإذا أدت الرعية إلى الوالي حقه، وأدى الوالي إليها حقها عز الحق بينهم، وقامت مناهج الدين، واعتدلت معالم العدل، وجرت على إذلالها السنن، فصلح بذلك الزمان، وطمع في بناء الدولة، ويئست مطامع الأعداء، وإذا غلبت الرعية واليها، أو أجحف الوالي برعيته اختلفت هناك الكلمة، وظهرت معالم الجور، وكثر الإدغال في الدين وتركت محاج السنن، فعمل بالهوى وعطلت الأحكام وكثرت علل النفوس، فلا يستوحش لعظيم حق عطل، ولا لعظيم باطل فعل، فهنالك تذل الأبرار وتعز الأشرار، وتعظم تبعات الله سبحانه عند العباد"(٦٧).

ومن هذا نستشف أن الهدف الأسمى الذي سعى إليه أمير المؤمنين(عليه السلام) إنما هو تحقيق العدالة الاجتماعية، وصيانة حقوق الراعي والرعية، وتقوية الأواصر بين السلطة والشعب حيث يكون الحق سيد الموقف، وحتى لا تجترئ السلطة على إتيان الباطل وتعطيل الحقوق.

علق أحد الباحثين[٦٨] على ذلك بقوله: "يرى الإمام علي أن إقامة العدل وتحقيق المساواة يؤديان إلى التماسك الاجتماعي بين المواطنين، والى رضا الرعية وتعاونها فيما بينها وبين راعيها، وهذا شرط أساسي لبناء العمارة وبلوغ التنمية، ويمكنها من الانطلاق، وإلا اضطربت الأمور وخيم التخلف.

وللتأكيد على حسن معاملة الرعية وصيانة كرامتها، وكف غضب السلطان وبطشه يوصي أمير المؤمنين علي(عليه السلام) عامله بقوله: "وإذا حدث لك ما أنت فيه من سلطانك أبهة، أو مخيلة فانظر إلى عظم ملك الله فوقك، وقدرته منك، على مالا تقدر عليه من نفسك، فان ذلك يطامن إليك من طماحك، ويكف عنك من غربك ويفيء إليك ما عزب من عقلك وإياك ومساماة الله في عظمته والتشبه في جبروته، فان الله يذل كل جبار ويهين كل مختال"[٦٩].

٢- عدالة التوزيع

كما أسلفنا كان هدف التنمية الاقتصادية منصبا على النمو الاقتصادي وتحسين ميزان المدفوعات وتنمية الصادرات باعتبارها المقياس الحقيقي للتقدم والتنمية، دون العناية بالعدالة الاجتماعية وتوزيع الثروة على فئات المجتمع بما يؤدي إلى رفع المستوى المعاشي للجميع.

أما في فكر أمير المؤمنين(عليه السلام) فإن الإنسان هو محور التنمية وقطبها، لذا كان الاهتمام بالعمران وتوفير الأمن سبيلا لرفع المستوى المعاشي للفرد المسلم عن طريق التوزيع العادل للثروة على أبناء الأمة الإسلامية.

فاتخذ أمير المؤمنين(عليه السلام) جملة من الإجراءات التي تحقق التنمية البشرية المتوازنة، فالتنمية ليست رفع مستوى واردات الدولة، بل هي فضلا عن ذلك كيف تصل ثمار هذه الواردات إلى مختلف الشرائح الاجتماعية، التي بدورها ترفد عملية التنمية باليد العاملة والفكر السليم القادر على النهوض بواجباته الشرعية تجاه الوطن، فكان من هذه الإجراءات:

أ- الإعانات المالية:

اتبع الإمام علي(عليه السلام) سياسة الإعانات لدعم الطبقات الفقيرة التي تحتاج إلى عون الدولة ودعمها، مبينا أهمية هذه المعونات في رفد هذه الطبقات بما تحتاج إليه في حياتها اليومية مما يقوم بأودها ويسد رمقها، فضلا عن الجانب المعنوي لهذه الإعانات، والتي تشعر الفرد بأن الدولة معه تشعر بهمه، وتحنو عليه، وتربت على كتفه، وتشد من أزره لمواجهة الصعاب.

في هذا الصدد كتب الإمام علي(عليه السلام) إلى عامله على مصر يوصيه: "ثم الطبقة السفلى من أهل الحاجة والمسكنة الذين يحق رفدهم ومعونتهم، وفي الله لكل سعة، ولكل على الوالي حق بقدر ما يصلحه"(٧٠).

والذي نستشف من هذا أنه(عليه السلام) يأمر عامله بإعانة المحتاجين من أهل الحاجة والمسكنة على ما فرض الله لكل صنف في كتابه الكريم، ثم أن هذه المعونة ليست منة أو تفضلا من أحد، وإنما هي حق شرعه الله تعالى لهذه الفئات، كما نستشف أن مقدار المعونة ليس محددا بسقف معين، بل يعطى كل فرد بما يصلح حاله، وهذه لفتة اجتماعية واقتصادية غير مسبوقة، فإعطاء كل فرد بما يصلح حاله، يعني تهيئة الأسباب المناسبة لهذا الفرد على مواجهة الحياة، وإعطاؤه ليس ما يسد رمقه فحسب، بل إعطاؤه كما يفهم من العبارة ما يمكنه من إصلاح حاله، أي ما يمكنه من إيجاد عمل يكسب منه قوته وقوت عياله، ومن ثَمَّ الاعتماد على كسبه، والخروج من دائرة الفقر والمسكنة، وحفظ ماء وجهه من ذل المسألة.

وهذه الإعانة بما تمثله من مواصفات يمكن أن نشبهها اليوم بالقروض التشغيلية التي تعطى للعاطلين عن العمل، إلا أنها في عهد الإمام(عليه السلام) تعطى بلا مقابل، ولا تسترد لبيت المال.

وكتب الإمام علي(عليه السلام) إلى عامله قثم بن العباس ما نصه: "انظر إلى ما اجتمع عندك من مال الله، فاصرفه إلى مَن قبلك من ذوي العيال والمجاعة، مصيبا به مواضع المفاقر والخلات"(٧١).

ومعلوم أن الإمام (عليه السلام) قد فرض لكل مولود في الإسلام نصيبا من مال الله، فقد أورد أبو عبيد(٧٢)عن رجل من خثعم: "قال: ولد لي ولد، فأتيت عليا فأثبته في مائة". أي فرض له

مائة درهم حين ولادته، وفي رواية أخرى لأبي عبيد[٧٣] أن الإمام (عليه السلام) فرض مائة درهم للقيط، قال: "أتيت عليا بمنبوذ فأثبته في مائة".

وعلى هذا فتلك الأموال التي أمر بها قثم بن العباس أن يصرفها لذوي العيال والمجاعة، وأمره أن يصيب بها مواضع المفاقر والخلات، أي أن يتحرى عن ذوي العيال المحتاجين فعلا للإعانة، وهذا نابع من حرص الإمام علي(عليه السلام) في أن توضع الأموال في مواضعها.

نقول لابدَّ من أن تلك الأموال إعانات مالية اعتاد الإمام علي(عليه السلام) أن يقدمها لمن به حاجة ماسة، فربّما لا تكفي حصة الفرد من العطاء، أو لحدوث طارئ، أو لأي سبب أخر، لذا نراه يوصي عامله بان يصيب بهذه الأموال مواضع الفاقة، أو المفاقر ويسد بها كل خلل قد تظهر على المحتاج، فينكشف عوزه وفقره.

وفي نص أخر يضيف الإمام علي(عليه السلام) للفكر الإنساني لفتة إنسانية رائعة، وفكر اجتماعي خلاق من خلال نظرته الإنسانية إلى الفئات التي تستحق إعانة الدولة، ويصف هذه الفئات بوصف نبيل يتجلى فيه سمو أخلاقه، ورقة نفسه، فيوضح مصارف المعونة إلى من تصرف، فضلا عما ذكرنا من فئات، فيقول واصفا إياهم: "ليس لهم في الإمارة نصيب، ولا في العمارة حظ، ولا في التجارة مال، ولا في الإجارة معرفة، وقد فرض الله في أموال الأغنياء ما يقوتهم ويقوم بهم"[٧٤].

ب- تخصيص مورد مالي ثابت:

لم تقتصر جهود الإمام علي(عليه السلام) على تقديم الإعانات المالية لضعاف الناس من المحتاجين، وأصحاب العيال، بل سعى لتكوين ما يشبه الشبكة الاجتماعية تحمي الفقير والمريض، والطفل اليتيم من العوز والفقر، وذلك بتخصيص مورد مالي ثابت لهذه الفئات من موارد بيت المال، ومن غلات صوافي الإسلام، والحق أن هذا الإجراء للإمام علي(عليه السلام) لم يسبقه إليه أحد بأن نظر هذه النظرة الإنسانية الراقية لهذه الفئات، ووضع لها المعالجة العملية والعلمية في آن واحد، ولم يقصر الإمام علي(عليه السلام) نظره على صرف موارد مالية فقط لهذه الفئات المستحقة، وإنما أمر عامله باتخاذ ما يشبه اللجنة من أهل الصلاح والتقوى المعروفين بخشية الله تعالى، للنظر في أمور هؤلاء، ورفعها للوالي ليتخذ ما يلزم بشأنها من الإجراءات.

يوصي الإمام علي(عليه السلام) عامله على مصر بقوله: "ثم الله اللهَ في الطبقة السفلى من الذين لا حيلة لهم، والمساكين والمحتاجين، وأهل البؤسى والزمنى، فإن في هذه الطبقة قانعا ومعترا، واحفظ الله ما استحفظك من حقه فيهم، واجعل لهم قسما من بيت مالك، وقسما من صوافي الإسلام في كل بلد، فإن للأقصى منهم مثل الذي للأدنى، وكل قد استرعيت حقه، فلا يشغلنك عنهم بطر، فإنك لا تعذر بتضييع التافه لإحكامك الكثير المهم"(٧٥).

وفي هذا النص تأكيد كبير على الاهتمام بهذه الشرائح الاجتماعية، قلما نجد له مثيلا في التاريخ، وهو بحق يعد سبقا للإمام علي(عليه السلام) على كل اللوائح التي وضعت لضمان حقوق الإنسان، فالإمام يؤكد حق هذه الشرائح في العيش الكريم بقوله: "الله اللهَ في الطبقة السفلى" أي احفظ الله في هذه الطبقة التي لا حيلة لها في كسب العيش، وتحقيق الحياة الكريمة التي ينشدها الإسلام.

وهذه الطبقة شملت المحتاجين، والبؤساء، والمرضى غير القادرين على الكسب بالطرق الاعتيادية لعجزهم عن ذلك، فأمر الإمام(عليه السلام) بتخصيص مورد مالي ثابت لهم من بيت مال المسلمين، ومن غلات صوافي الإسلام.

ولا اقصد بالثبات هنا ثبات كمية المال، وإنما ثبات التخصيص من الموارد، فكمية الأموال تتغير تبعا لواردات بيت المال، فقد تزيد أو تنقص لكن ثبات التخصيص المالي لهم أمر مهم جدا، فقد أصبح للمحتاجين منذ هذا العهد مورد مالي مسمى لهم في بيت مال المسلمين، وغلات الصوافي.

إن هذا الإجراء الذي أجراه الإمام(عليه السلام) وهو أمر جديد على بيت مال المسلمين الذي هو مؤسسة مالية تختص بما يرد للدولة من أموال كريع أراضي الخراج، وجباية العشور وغيرها، وكانت تصرف هذه الموارد في المسلمين بحسب القرابة من رسول الله(ص) والسابقة في الإسلام، ولم يشمل بالعطاء موالي المسلمين.

فيما قرر الإمام علي(ع) بعد أن ساوى في العطاء بين المسلمين، وفرض للموالي كما فرض للعرب بلا فرق أو تمييز، يقرر أن في بيت المال حقًّا للمحتاجين من المرضى والمساكين، وأهل البؤسى، ليقيهم العوز وشظف العيش، ويخرجهم من دائرة الفقر والحاجة كما خصص لهذه الطبقة قسما من واردات أراضي الصوافي، وهي أراض كانت تعود ملكيتها للإمام يضعها حيث شاء بما يحقق النفع للأمة الإسلامية.

إشاعة ثقافة العمل:

يعد العمل في مختلف المجالات من قبيل الإنتاج، وتوفير السلع والبضائع الاستهلاكية، والخدمات التي تقتضيها متطلبات المجتمع وحاجاته من العناصر المهمة في عملية التنمية، وقد أولى الإمام علي(عليه السلام)هذه المسألة عناية خاصة، ناهيك عن ممارسته للإعمال المختلفة طوال حياته(عليه السلام)[٧٦]، فهو(عليه السلام) يكنُّ للعمل المنتج الصالح احتراما عميقا انعكس من أقواله المتناثرة في بطون الكتب، والتي بينت لنا رؤيته(عليه السلام) للعمل الذي يعود بالفائدة على الفرد والمجتمع[٧٧]، فقد سعى الإمام علي(عليه السلام) إلى إشاعة ثقافة العمل، وبيان قدسيته، وأن أهميته تكمن في القضاء على آفة الكسل والعجز والفقر التي تسهم في تفشي الأمراض الجسمانية والنفسية على نطاق الفرد والمجتمع على السواء، لذا حث الإمام (عليه السلام) من خلال خطبه ووصاياه أفراد المجتمع على مزاولة العمل بوصفه واجبا عباديا، إذ ورد عنه أنه(عليه السلام) قال: "إني لأبغض الرجل يكون كسلانا من أمر دنياه، فهو من أمر أخرته اكسل"[٧٨].

وليعيش المؤمن حالة الموازنة بين العبادة والعمل، والأمور الحياتية الأخرى، فلا ينزلق في التطرف، كأن يترك العمل، ويصبح كلاًّ على الآخرين بحجة الزهد والعبادة، أو ينغمس في العمل، فينسى واجباته العبادية الأخرى، قسم أمير المؤمنين(عليه السلام) وقت المؤمن بشكل مثالي ومتوازن يضمن من خلاله سعادة الدنيا والآخرة، إذ قال: "للمؤمن ثلاث ساعات: فساعة يناجي فيها ربه، وساعة يرمّ معاشه، وساعة يخلي بين نفسه وبين لذتها في ما يحل ويجمل، وليس للعاقل أن يكون شاخصا إلا في ثلاث: مرمة لمعاش، أو خطوة في معاد، أو لذة في غير محرم"[٧٩].

وفي إطار سعيه لإشاعة ثقافة العمل الصالح المنتج قال(عليه السلام): "إن العمل شعار المؤمن"[٨٠]، وقال(عليه السلام): "طوبى لمن ذل في نفسه، وطاب كسبه، وصلحت سريرته"[٨١]. وقال أيضا: "آفة العمل البطالة"، وقد علق احد الباحثين بعد أن أورد هذا الحديث بقوله: "بأن الإنسان قد يعتاد الخمول والبطالة، فإذا فعل ذلك أخلد إلى الراحة والدعة، وبذل قصارى جهده بهذه لينأى بنفسه بعيدا عن الإعمال ذات الطبيعة الإنتاجية، والتي تنطوي ممارستها على نوع من العناء والجهد والتعب، فإذا ما انهمك في عمل لم يكن همه سوى الفراغ منه بغض النظر عن جودته

وإتقانه، وعليه فلا ينبغي للفرد أن يجعل الشعور بالميل للبطالة، والقعود عن العمل يتسرب إلى قلبه"[٨٢].

وعلى هذا الأساس، وتأكيدا لأهمية العمل للفرد والمجتمع في فكر الإمام علي(عليه السلام) دعا إلى مواصلة العمل، وعدم الكسل، أو الاتكال على ما جمع الفرد من ثروة، فالعمل في فكره(عليه السلام) ليس مجرد وسيلة لكسب المال فقط على الرغم من أهمية ذلك، بل لقيمته المعنوية والذاتية للفرد، فضلا عن مردوده الاقتصادي والاجتماعي، فعمل الفرد ينعكس على المجتمع من خلال ما يقوم به الفرد المسلم من إنتاج بضائع وسلع، أو تقديم خدمات نافعة، كما أنه من جهة أخرى ينعكس على دورة النقود في الأسواق، فما يحصل عليه العامل من أموال سينفق معظمها على شراء ما يحتاج إليه من سلع وخدمات، أما من الناحية الاجتماعية فإشاعة العمل، والحث عليه ستقضي على آفة البطالة، كما أنه يسهم في تشغيل عدد كبير من اليد العاملة، كما أن المردود المالي الذي يحصل عليه العامل فيه حقوق شرعية إذا ما أخرجها، ووضعها بيد من سُميت له، فانه سيخلق مجتمعا متماسكا متكافلا ينعدم فيه الفقر، وتسوده الرحمة والمودة، فلا تبقى ضغينة بصدر فقير معوز تجاه غني مترف، وإشاعة ثقافة العمل تجعل الأفراد في سباق محمود على انتهاز الفرص ، والقيام بمختلف الأعمال المشروعة، ومن ثَمَّ تخليص المجتمع من النظرة السلبية التي ينظر بها لبعض الأعمال والمهن، هذه النظرة التي حاربها الإسلام منذ البداية، قال(عليه السلام): "قيمة كل امرئ ما يحسنه"[٨٣]، وقد علق ابن خلدون[٨٤]على ذلك بقوله: "بمعنى إن صناعته هي قيمته أي قيمة عمله الذي هو معاشه". وقال الشيخ محمد عبده[٨٥]: "وهذه الكلمة التي لا تصاب لها قيمة، ولا توزن بها حكمة، ولا تقرن إليها كلمة".

وفي دعوة الإمام(عليه السلام) إلى إتقان العمل وإجادته قال: "لا تطلب سرعة العمل، واطلب تجويده، فالناس لا يسألون في كم فرغ من العمل، وإنما يسألون عن جودة صنعته"[٨٦]، وهذه النظرة الفلسفية للعمل وجودة الصناعة في حقيقتها دعوة إلى التخصص في الإنتاج وتقسيم العمل الذي من أهم ميزاته إتقان الصنعة.

إن مبدأ التخصص، أو تقسيم العمل في الصناعات كما يسمونه حديثا هو من أهم المبادئ التي اعتمدها الإمام في القطاع الصناعي والذي يؤدي إلى مستوى عالٍ من الدقة والجودة [٨٧].

وقال الإمام علي(عليه السلام): "بركوب الأهوال تكسب الأموال"[٨٨]، وهي دعوة إلى عدم الانزواء في محيط المدينة، أو القرية، إذا ما شح الرزق، وضاقت السبل، فهي دعوة إلى السفر في أرض الله الواسعة، قال تعالى: قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ ذَلُولٗا فَٱمۡشُواْ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزۡقِهِۦۖ وَإِلَيۡهِ ٱلنُّشُورُ ١٥﴾ [٨٩]، وقال تعالى:قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ ذَلُولٗا فَٱمۡشُواْ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزۡقِهِۦۖ وَإِلَيۡهِ ٱلنُّشُورُ ١٥ ﴾ [٩٠].

وفي دعوة أخرى من الإمام علي (عليه السلام) إلى الجد والاجتهاد في العمل، وخلق روح المثابرة في الفرد المسلم قال: "من قصر في العمل ابتلي بالهم"[٩١].

وسعى الإمام علي(عليه السلام) إلى توفير الفرص للعاطلين عن العمل، حيث كان أهم ميادين العمل وقتذاك الزراعة، لذا فقد اتخذ عدة خطوات لتشجيع العاطلين عن العمل على استغلال الأرض والانتفاع بنتاجها للقضاء على الفقر، وزيادة الإنتاج، ومن أهم هذه الخطوات تشجيعه على إحياء الأراضي الموات.

وإشاعة ثقافة العمل هي جزء مهم من مستلزمات التنمية البشرية فحدوث تنمية حقيقية لابد من مجتمع منتج يقدس العمل ويحترمه، فالإنسان هو صانع التنمية وغايتها.

الخاتمة

لاشك أنه يمكننا القول بلا تردد إن الإمام علي بن أبي طالب(عليه السلام) يعدّ رائد التنمية البشرية الإسلامية وواضع أسسها، وهذا ما يحاول أن يثبته بحثنا هذا، وإن المفكرين والفقهاء الذين أسهموا في بناء الفكر التنموي الإسلامي لابد من أن يكونوا قد تأثروا بشكل أو بآخر بفكر الإمام علي(عليه السلام).

قال أحد الباحثين: " من المقولات المعروفة للإمام علي التي طالما توقفت عندها كما لابد أن يتوقف عندها الكل متأملا بكثير من الإعجاب قوله: "ربوا أولادكم على غير ما دَرَجْتم عليه لأنهم مخلوقون لزمان غير زمانكم"، ولعل أفضل ما سمعته تعليقا على هذه المقولة ما قاله أحمد جبريل السياسي الليبي المعروف ورئيس الوزراء السابق كان يتحدث في ندوة في تونس كنت حاضرا فيها ذكر هذه المقولة في سياق معين وقال: "إن الإمام علي بهذه المقولة يعتبر رائدا للتنمية المستدامة"، وما قاله أحمد جبريل كلام دقيق جدا بشكل مدهش"[٩٢].

ونحن إذ ننهي هذه الصفحات نقول: لابد لنا من وجوب الإستفادة من منهج أمير المؤمنين علي(عليه السلام) التنموي الذي كان فيه الإنسان هدفا وغاية، فلا زالت السياسات المتبعة تضع التطور المادي فقط معيارا أساسا لكل تقدم، وهذا ما أكدته معظم الدراسات، بل والخطط الاقتصادية فشله الذريع، فالتنمية أولا هي الاهتمام بصنع الإنسان القادر على تغيير الظروف، وتقديم العطاء للوطن.

لذا يجب أن تكون السياسة الموضوعة شاملة لجميع نواحي الحياة، من التعليم والصحة، والمستوى المعاشي، والرقي الثقافي، وأن يكون هناك مقياس دقيق للعدالة الاجتماعية، فتوفر كل هذه الأسباب بلا عدالة يفرغ التنمية من محتواها، ويقتل أهدافها.

الهوامش

(١) زهرة، السيد، التنمية المستدامة، مقال منشور في جريدة أخبار الخليج، جريدة يومية، العدد ١٢٨٣٢ في٢٠١٣/٥/١١م، (المنامة،٢٠١٣م).

(٢) دنيا، شوقي احمد، دور الدولة في التنمية في ضوء الاقتصاد الإسلامي، بحث منشور في مجلة البحوث الفقهيه المعاصرة، العدد١٩، (الرياض،١٤١٤هـ)، ص٧٦.

(٣) سورة هود، آية ٦١.

(٤)محمد بن احمد بن أبي بكر(ت٦٧١هـ)، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي وآخرون، (بيروت ،مؤسسة الرسالة،٢٠٠٦م)، ج١١، ص١٤٩.

(٥) احمد، فؤاد عبد المنعم، السياسة الشرعية وعلاقتها بالتنمية الاقتصادية وتطبيقاتها المعاصرة، (جدة، المعهد الإسلامي للبحوث والتدريب،١٤٢٢هـ)، ص٥٤.

(٦) دنيا، شوقي احمد، دور الدولة في التنمية في ضوء الاقتصاد الاسلامي، بحث منشور في مجلة البحوث الفقهيه المعاصرة، العدد ٩،(الرياض،١٤١٤هـ)،ص٨٤.

(٧) عبد الرحمن الخليل بن احمد الفراهيدي(ت ١٧٥هـ)،العين ،(بيروت ، دار احياء التراث العربي،٢٠٠١م،)،ص٩٨٨.ينظر:(ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم(ت٧١١هـ)،لسان العرب، تدقيق: يوسف البقاعي واخرون،(بيروت، مؤسسة الاعلمي،٢٠٠٥م)،مج٢،ص٤٠٢٨.

(٨) ابن فارس ،ابو الحسن احمد بن فارس بن زكريا(ت٣٩٥هـ)، معجم مقاييس اللغة ،تحقيق: عبد السلام محمد هارون،(قم ،دار الكتب العلمية، بلا)،ج٥،ص٤٧٩.

(٩) بكار،عبد الكريم، مدخل الى التنمية المتكاملة رؤية اسلامية،(دمشق ،دار القلم،١٩٩٩م)،ص٩.

(١٠) علم الاجتماع الاقتصادي،(الموصل، مطبعة دار الحكمة،١٩٩٠م)،ص١٤٤.

(١١) م.ن،ص١٤٤.

(١٢) الغندور، سماح طه احمد، التنمية البشرية في السنة النبوية ،دراسة موضوعية ،رسالة ماجستير لاغير منشورة، جامعة غزة، كلية اصول الدين،(غزة،٢٠١١م)،ص٣.

(١٣) السروجي، طلعت مصطفى، التنمية الاجتماعية من الحداثة الى العولمة،(الاسكندرية، المكتب الجامعي الحديث،٢٠٠٩م)،ص٥ص٦.

(١٤) ينظر: عارف، نصر، في مفاهيم التنمية ومصطلحاتها ،بحث منشور في مجلة ديوان العرب، عدد حزيران لسنة ٢٠٠٨م،(لقاهرة،٢٠٠٨م)،ص١.

(١٥) دوابة، اشرف محمد، التنمية البشرية من منظور اسلامي، بحث مقدم الى الملتقى الدولي الثالث حول واقع التنمية البشرية في اقتصاديات البلدان الاسلامية، جامعة الجزائر ،كلية العلوم الاقتصادية والتسيير ،(الجزائر ،٢٠٠٧م)،ص٢.

(١٦) بن قانة، اسماعيل محمد، اقتصاد التنمية نظريات نماذج استراتيجيات،(عمان، دار اسامة،٢٠١٢)،ص٢٢٧ص٢٢٨.

(١٧) دوابة، التنمية البشرية من منظور اسلامي،ص٢.

(١٨) بن قانة، اقتصاد التنمية،ص٢٢٨.

(١٩) العبيد احمد، ضرار الماحي، نشأة وتطور مفهوم التنمية المستدامة، بحث رمنشور في مجلة التنوير، العدد ٥،(الخرطوم،٢٠٠٨م)،ص٩.

(٢٠) دنيا، دور الدولة في التنمية،ص٧٦.

(٢١) م، ن،ص٧٦.

(٢٢) سورة هود، آية ٦١.

(٢٣) محمد بن جرير(ت٣١٠هـ)،جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: محمود محمد شاكر،(القاهرة، مكتبة ابن تيمية ،بلا)،ج١٥،ص٣٦٨.

(٢٤)ابو علي، الفضل بن الحسن(ت)،مجمع البيان في تفسير القرآن،(بيروت ،دار المرتضى، ٢٠٠٦م)، ج٥،ص٢٣٠.

(٢٥) محمد بن احمد بن أبي بكر(ت٦٧١هـ)، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي وآخرون، (بيروت، مؤسسة الرسالة،٢٠٠٦م)، ج١١، ص١٤٩.

(٢٦) شبع، محمد جواد، التنمية في القرآن الكريم، بحث منشور في مجلة كلية التربية للبنات للعلوم الانسانية، العدد ٦،مج١١،جامعة الكوفة،(النجف الاشرف،٢٠١٠م)،ص٢.

(٢٧) سورة الأعراف ،آية ١٠.

(٢٨) سورة الملك ،آية ١٥.

(٢٩) سورة البقرة، آية ١٧٢.

(٣٠) عبد المنعم احمد، فؤاد ، السياسة الشرعية وعلاقتها بالتنمية الاقتصادية وتطبيقاتها المعاصرة، (جدة، المعهد الإسلامي للبحوث والتدريب،١٤٢٢هـ)، ص٥٧.

(٣١) الهنداوي، حسن بن ابراهيم، مفهوم التنمية وخصائصها من وجهة نظر اسلامية، بحث منشور في مجلة التنوير، العدد ٥،(الخرطوم،٢٠٠٨م)،ص٢٢.

(٣٢) سورة الاعراف، آية ١٢٩.

(٣٣) عبد المنعم، اليسياسة الشرعية وعلاقتها بالتنمية،ص٥٦ص٥٧.

(٣٤) سورة الذاريات ،آية ٥٦.

(٣٥) النجار، عبد الهادي علي، الاسلام والاقتصاد دراسة في المنظور الاسلامي لابرز القضايا الاقتصادية والاجتماعية المعاصرة،(الكويت، عالم المعرفة،١٩٨٣م)،ص٦٠.

(٣٦) السروجي ،التنمية الاجتماعية،ص٩.

(٣٧) دنيا، دور الدولة في التنمية،ص٧٦ص٧٧.

(٣٨) عبده، الشيخ محمد، نهج البلاغة،(القاهرة، مؤسسة المختار،٢٠٠٨م)،ص٤١٦.

(٣٩) عمارة، م حمد، علي بن ابي طالب نظرة عصرية جديدة،(بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر،١٩٧٤م)،ص٣٧.

(٤٠) عبده، نهج البلاغة،ص٤٢٦.

(٤١) م.ن،ص٤٢٦.

(٤٢) عبد المنعم، السياسة الشرعية وعلاقتها بالتنمية،ص٥٤.

(٤٣) خزنة كاتبي، غيداء، الخراج منذ الفتح الاسلامي حتى اواسط القرن الثالث الهجري،(بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية،١٩٩٧م)،ص٢٣٧.

(٤٤) أحمد بن يحيى (ت٢٧٩هـ)، فتوح البلدان، (بيروت، مكتبة الهلال، ١٩٨٨م)، ص٢٦٦، وص٢٦٧.

(٤٥) الرساتيق: جمع رستاق، فارسية معربها: الرزداق، وهي: القرية، أو محلة العسكر، أو البلد التجاري.

ينظر: عمارة، محمد، قاموس المصطلحات الاقتصادية في الحضارة الإسلامية، (بيروت، دار الشروق، ١٩٩٣م)، ص٢٤٨.

(٤٦) بهرسير: من نواحي سواد بغداد قرب المدائن، ويقال بهرسير الرومقان، وقيل بهرسير إحدى المدائن السبع التي سميت بها المدائن، وهي غربي دجلة. ينظر: (ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج١، ص٥١٥).

(٤٧) الرومقان: طسوج من طساسيج السواد في سمت الكوفة. ينظر:(ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج٣، ص٩٧).

(٤٨) نهر درقيط: كورة ببغداد من جهة الكوفة. ينظر: (ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج٢، ص٤٥١).

(٤٩) بهقباذ: اسم لثلاث كور ببغداد من أعمال سقي الفرات منسوبة إلى قباذ بن فيروز والد أنو شروان. ينظر: (ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج١، ص٥١٦).

(٥٠) الجريب: بفتح فكسر مقياس مساحة مقداره ثلاثة آلاف وستمائة ذراع، وقيل عشرة آلاف ذراع. ينظر: (الشرباصي، أحمد، المعجم الاقتصادي الإسلامي، (بيروت، دار الجيل،١٩٨١م)، ص٩٣).

(٥١) الصاع: أربعة أمداد، وهو مكيال أهل المدينة، وعند أهل الكوفة أربعة أمناء. ينظر: (الشرباصي، المعجم الاقتصادي، ص٢٥٩).

(٥٢) العسل، ابراهيم، التنمية في الاسلام مفاهيم مناهج وتطبيقات،(بيروت، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر،١٩٩٦م)،ص٩٥.

(٥٣) عبده، نهج البلاغة،ص٤٢٦.

(٥٤) م.ن،ص٤٢٦ص٤٢٧.

(٥٥) م.ن،ص٤٢٧.

(٥٦) ينظر:العسل، ابراهيم، الفكر الانماءي عند الامام علي(عليه السلام)،بحث منشور في مجلة المنهاج، العدد ٥،(بيروت،١٩٩٧م)،ص٧٧.

(٥٧) عبده، نهج البلاغة،ص٤٢٦.

(٥٨) الجابري، عبد الله حاسن، الفكر الاقتصادي عند الامام علي بن ابي طالب من خلال رسالته لواليه على مصر الاشتر النخعي دراسة مقابلة بالفكر المالي الحديث، بحث رمنشور في مجلة ام القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وادابها،ج١٧،العدد ٣٤،(الرياض،١٤٢٦هـ)،ص٣٣٦.

(٥٩) م.ن،ص٣١٢.

(٦٠) العسل، الفكر الانمائي،ص٧٥.

(٦١) إبراهيم، أحمد اسعد محمود، السياسة الاقتصادية في خلافة الإمام علي بن أبي طالب، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة اليرموك، كلية الشريعة، (عمان، ١٩٩٧م).ص٦١.

(٦٢) ابراهيم ،السياسة الاقتصادية،ص٦١.

(٦٣) محمد عبده ،نهج البلاغة،ص٤٢١.

(٦٤) عبده، نهج البلاغة،ص٤٣٠.

(٦٥) ابن ابي الحديد، عزالدين عبد الحميد بن هبة الله المدائني(ت٦٥٦هـ)،شرح نهج البلاغة، تحقيق: محمد ابو الفضل ابراهيم،(بيروت، الدار اللبنانية للنشر،٢٠٠٨م)،ج١١،ص٦٦.

(٦٦) الطبري ،تاريخ الامم والملوك،(بيروت، دار الاميرة،٢٠١٠م)،ج٣،ص٢٨٣.

(٦٧) ابن ابي الحديد ،شرح نهج البلاغة،ج١١،ص٥٩ص٦٠.

(٦٨) العسل، الفكر الانمائي،ص٧٣.

(٦٩) عبده، نهج البلاغة،ص٤١٨.

(٧٠) عبده، نهج البلاغة،ص٤٢٢.

(٧١) م.ن،ص٤٤٨.

(٧٢) القاسم بن سلام(ت٢٢٤هـ)،الأموال،(بيروت، دار الكتب العلمية،١٩٨٦م)،ص٢٥٠.

(٧٣) م.ن،ص٢٥٠.

(٧٤) السعد، حقوق الإنسان،ص٣٩١.

(٧٥) عبده، نهج البلاغة،ص٤٢٩.

(٧٦) البختياري، صادق، العدالة والتنمية في منهج الإمام علي، بحث منشور في مجلة المنهاج، العدد٢٧،(بيروت،٢٠٠٢م) ص١٤..

(٧٧) السعد، حقوق الإنسان،ص٣١١.

(٧٨) الموسوي، ميسون محمد حسين، الفكر الإبداعي في تراث الإمام علي(نهج البلاغة نموذجا)،أطروحة دكتوراه غير منشورة، مقدمة إلى معهد التاريخ العربي والتراث العلمي للدراسات العليا،(بغداد،٢٠٠٥م)، ص٩٣.

(٧٩) عبده، نهج البلاغة،ص٤٩٧.

(٨٠) السعد، حقوق الإنسان،ص٣١٢.

(٨١) عبده، نهج البلاغة،ص٤٧٤.

(٨٢) بختياري، ص١٤.

(٨٣) عبده، نهج البلاغة،ص٤٦٧.

(٨٤) عبد الرحمن بن محمد(ت٨٠٨هـ)،المقدمة، تحقيق: حجر عاصي، (بيروت، دار الهلال ،١٩٨٨م)، ص٢٥٦.

(٨٥) نهج البلاغة،ص٤٦٧.

(٨٦) الموسوي، الفكر الإبداعي،ص٩٤.

(٨٧) العسل ،إبراهيم، الفكر الإنمائي عند الإمام علي، مجلة المنهاج، العدد ٥ ،١٩٩٧م، ص٧٨.

(٨٨) م.ن،ص٣١٦.

(٨٩) سورة الملك ،آية ١٥.

(٩٠) سورة الملك ،آية ١٥.

(٩١) عبده، نهج البلاغة،ص٤٧٥.

(٩٢) زهرة، السيد، التنمية المستدامة، مقال منشور في جريدة أخبار الخليج، جريدة يومية، العدد ١٢٨٣٢ في٢٠١٣/٥/١١م،(المنامة،٢٠١٣م).

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

أولا: المصادر الأولية

١. البلاذري،أحمد بن يحيى (ت٢٧٩هـ)،فتوح البلدان،(بيروت، مكتبة الهلال، ١٩٨٨م).

٢. ابن ابي الحديد، عز الدين عبد الحميد بن هبة الله المدائني(ت٦٥٦هـ)،شرح نهج البلاغة، تحقيق: محمد ابو الفضل ابراهيم،(بيروت، الدار اللبنانية للنشر،٢٠٠٨م).

٣. ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد(ت٨٠٨هـ)،المقدمة ،تحقيق: حجر عاصي،(بيروت ،دار الهلال،١٩٨٨م).

٤. الطبرسي ،ابو علي الفضل بن الحسن(ت) ، مجمع البيان في تفسير القرآن،(بيروت، دار المرتضى،٢٠٠٦م).

٥. الطبري، محمد بن جرير(ت٣١٠هـ)،جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: محمود محمد شاكر،(القاهرة، مكتبة ابن تيمية، بلا).

٦. تاريخ الامم والملوك،(بيروت، دار الاميرة،٢٠١٠م)

٧. ابو عبيد، القاسم بن سلام(ت٢٢٤هـ)،الأموال،(بيروت، دار الكتب العلمية،١٩٨٦م).

٨. ابن فارس، ابو الحسن احمد بن فارس بن زكريا(ت٣٩٥هـ)،معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون،(قم ،دار الكتب العلمية ،بلا).

٩. الفراهيدي، عبد الرحمن الخليل بن احمد(ت ١٧٥هـ)،العين ،(بيروت، دار احياء التراث العربي،٢٠٠١م،).

١٠. القاضي النعمان، ابو حنيفة النعمان بن محمد التميمي(ت٣٦٣هـ)،دعائم الاسلام، تحقيق: اصف علي اصغر فيضي،(بيروت، دار الاضواء،١٩٩١م).

١١. القرطبي، محمد بن احمد بن أبي بكر(ت٦٧١هـ)،الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي وآخرون، (بيروت، مؤسسة الرسالة،٢٠٠٦م).

١٢. ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم(ت٧١١هـ)،لسان العرب،ت دقيق: يوسف البقاعي واخرون،(بيروت، مؤسسة الاعلمي،٢٠٠٥م)،

١٣. ياقوت الحموي، أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله (ت٦٢٦هـ)،معجم البلدان، (بيروت، دار صادر، ١٩٩٥م).

ثانيا: المراجع

١٤. . بكار، عبد الكريم، مدخل الى التنمية المتكاملة رؤية اسلامية،(دمشق، دار القلم،١٩٩٩م).
١٥. . الحسن، احسان محمد، علم الاجتماع الاقتصادي،(الموصل، مطبعة دار الحكمة،١٩٩٠م).
١٦. خزنة كاتبي، غيداء، الخراج منذ الفتح الاسلامي حتى اواسط القرن الثالث الهجري،(بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية،١٩٩٧م).
١٧. السروجي، طلعت مصطفى، التنمية الاجتماعية من الحداثة الى العولمة،(الإسكندرية ،المكتب الجامعي الحديث،٢٠٠٩م).
١٨. السعد، غسان، حقوق الإنسان عند الإمام علي بن أبي طالب(عليه السلام) رؤية علمية،(بغداد،د.م،٢٠٠٨م).
١٩. الشرباصي، أحمد المعجم، الاقتصادي الإسلامي، (بيروت، دار الجيل،١٩٨١م).
٢٠. عبده، الشيخ محمد، نهج البلاغة،(القاهرة، مؤسسة المختار،٢٠٠٨م).
٢١. العسل، ابراهيم، التنمية في الاسلام مفاهيم مناهج وتطبيقات،(بيروت ،المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر،١٩٩٦م).
٢٢. عمارة، محمد، علي بن ابي طالب نظرة عصرية جديدة،(بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر،١٩٧٤م).
٢٣. قاموس المصطلحات الاقتصادية في الحضارة الإسلامية، (بيروت، دار الشروق، ١٩٩٣م).
٢٤. بن قانة، اسماعيل محمد، اقتصاد التنمية نظريات نماذج استراتيجيات،(عمان، دار اسامة،٢٠١٢).
٢٥. النجار، عبد الهادي علي، الاسلام والاقتصاد دراسة في المنظور الاسلامي لابرز القضايا الاقتصادية والاجتماعية المعاصرة،(الكويت، عالم المعرفة،١٩٨٣م).

ثالثا: الدوريات

٢٦. البختياري، صادق، العدالة والتنمية في منهج الإمام علي، بحث منشور في مجلة المنهاج،العدد٢٧،(بيروت،٢٠٠٢م)، ص١٤..
٢٧. الجابري، عبد الله حاسن، الفكر الاقتصادي عند الامام علي بن ابي طالب من خلال رسالته لواليه على مصر الاشتر النخعي دراسة مقابلة بالفكر المالي الحديث، بحث منشور في مجلة ام القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وادابها،ج١٧،العدد ٣٤،(الرياض،١٤٢٦هـ).

٢٨. بوحمد، رضا صاحب، سياسة الإعانات عند الإمام علي بن ابي طالب(ع)،بحث منشور في مجلة جامعة ذي قار، العدد ٢،مج١(ذي قار،٢٠٠٥).

٢٩. دوابة، اشرف محمد، التنمية البشرية من منظور اسلامي، بحث مقدم الى الملتقى الدولي الثالث حول واقع التنمية البشرية في اقتصاديات البلدان الاسلامية، جامعة الجزائر، كلية العلوم الاقتصادية والتسيير،(الجزائر،٢٠٠٧م).

٣٠. دنيا، شوقي احمد دور الدولة في التنمية في ضوء الاقتصاد الاسلامي، بحث منشور في مجلة البحوث الفقهيه المعاصرة، العدد ٩،(الرياض،١٤١٤هـ).

٣١. شبع، محمد جواد، التنمية في القرآن الكريم، بحث منشور في مجلة كلية التربية للبنات للعلوم الانسانية، العدد ٦،مج١١،جامعة الكوفة،(النجف الاشرف،٢٠١٠م).

٣٢. عبد المنعم احمد، فؤاد، السياسة الشرعية وعلاقتها بالتنمية الاقتصادية وتطبيقاتها المعاصرة، (جدة، المعهد الإسلامي للبحوث والتدريب،١٤٢٢هـ).

٣٣. عارف، نصر، في مفاهيم التنمية ومصطلحاتها، بحث منشور في مجلة ديوان العرب، عدد حزيران لسنة ٢٠٠٨م،(لقاهرة،٢٠٠٨م).

٣٤. العبيد احمد، ضرار الماحي، نشأة وتطور مفهوم التنمية المستدامة، بحث رمنشور في مجلة التنوير، العدد ٥،(الخرطوم،٢٠٠٨م).

٣٥. الهنداوي، حسن بن ابراهيم، مفهوم التنمية وخصائصها من وجهة نظر اسلامية، بحث منشور في مجلة التنوير، العدد ٥،(الخرطوم،٢٠٠٨م).

٣٦. العسل ،ابراهيم، الفكر الانمائي عند الامام علي(عليه السلام)، بحث منشور في مجلة المنهاج، العدد ٥،(بيروت،١٩٩٧م).

الاطاريح والرسائل

٣٧. إبراهيم، أحمد اسعد محمود، السياسة الاقتصادية في خلافة الإمام علي بن أبي طالب، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة اليرموك، كلية الشريعة، (عمان، ١٩٩٧م).

٣٨. الغندور، سماح طه احمد، التنمية البشرية في السنة النبوية، دراسة موضوعية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة غزة، كلية اصول الدين،(غزة،٢٠١١م).

٣٩. الموسوي، ميسون محمد حسين، الفكر الإبداعي في تراث الإمام علي(نهج البلاغة نموذجا)،أطروحة دكتوراه غير منشورة، مقدمة إلى معهد التاريخ العربي والتراث العلمي للدراسات العليا،(بغداد،٢٠٠٥م).